مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (٨)، العدد (٣)، ص ص ٩٩٩-١٠٤٥، (رجب ١٤٣٦هـ/إبريل ٢٠١٥م)

هدي النّبي صلى الله عليه وسلّم في رعاية الأطفال وبناء شخصيّتهم

أ.د. (محمّد عيد) محمود الصّاحب
كلية الشريعة – الجامعة الأردنية

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

ملخص البحث. تناول البحث رعاية النّبي صلّى الله عليه وسلّم للأطفال في مجالاتها المختلفة، الرّوحيّة منها، والنّفسيّة، والعلميّة، والاجتماعيّة، والبدنية. وتبيّن أنّ الأساس في هذه الرّعاية هو الرّحمة التي تتناسب مع ضعف الصّغار. ووجد الباحث من خلال الدّراسة شمول السيرة النّبويّة لكلّ ما يخصّ الأطفال ورعايتهم، والعناية بتنميّة شخصيتهم، ووجد أن بيئة المسجد كانت ظاهرة في الأحاديث التي عالجت الموضوع.

وظهر في الدّراسة أنّ تعليم الصّغير يبدأ بكلمة التوحيد، وأنّ على ولي أمر الصّغير أن يقوم على تعليمه أمور الدّين، وأن يبدأ بأصول العقيدة إذا ما صار غلاماً. كما ظهر في الدّراسة أهميّة الرّعاية الاجتماعيّة للطفل، وأنّ هذه الرعاية يتمّ التأسيس لها من الأيام الأولى من مولد الطّفل. وفيما يخصّ الرّعاية النّفسيّة، فقد برز في الدّراسة أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قام على رعاية هذا الجانب بصورة شاملة ومتكاملة، وأنّ هديه في هذا المجال يؤدي إلى إحداث التوازن النّفسي، الذي يمنع من سلوك الطّفل الطرق المنحرفة، ويحول بينه وبين اضطراب شخصيّته.

وعرج البحث على الرّعاية البدنيّة للطفل، وبرز في البحث تقديم الأطفال على الكبار في التغذية، من أجل نماء أبدانهم وصحّة عقولهم. وأخيراً بيّنت الدّراسة أثر الرّعاية النّبويّة للأطفال على بناء شخصيّتم السليمة المستقيمة، التي تقاوم صور الانحراف، وتمنع من إحداث خلل في حياتهم قبل البلوغ وبعده.

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين؛ سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم اعتنى بالأطفال عناية فائقة، وقام على رعايتهم رعاية كاملة، وصدر عنه من الأقوال والأفعال، ما يلبّي حاجات الطّفل في كلّ جوانبها الرّوحيّة، والعلميّة، والنّفسيّة، والبدنيّة، والاجتماعيّة. ولم يترك لنا باباً من أبواب الرّعاية اللازمة للأطفال إلاّ وبيّنه وأفصح عنه، وكلّ ذلك من أجل خدمة شّخصيّة الطّفل، وحمايتها من الانحراف والاضطراب، وصرفها عن الفسق والفجور والضلال.

ولقد سنّ النّبي صلى الله عليه وسلّم من التشريعات، وأطلق من الإرشادات والتوجيهات، ما يؤمّن للطّفل الرّعاية الكاملة من يوم مولده إلى أن يكبر ويشبّ، ويصير أهلاً للاستقلال بمسؤوليّاته. وما سنّه النّبي صلى الله عليه وسلّم؛ لا نجده بصورة شاملة ومتكاملة إلاّ في هذا الدّين الذي نزل من عند الخالق سبحانه وتعالى القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

والنّاظر في واقع الأطفال في أيّامنا هذه، يجد التقصير في حقوقهم وما يلزم لهم، ويجد الإهمال من قبل بعض المسلمين في توجيههم، وتعليمهم، وغرس الإيمان في قلوبهم، ويجد حرمانهم من التغذية الرّوحيّة والعاطفيّة، ممّا يؤدي إلى الخلل والنقص في بناء شخصيّتهم، ومن ثمّ حصول الانحراف والانجراف في متاهات الفسق والفجور، والمعاناة نفسياً، واجتماعياً، واقتصادياً.

ومن ينظر في الأحاديث الشريفة، يجد فيها أنّ البيت والأسرة يمثلان الحاضن الأول والرئيس للطفل، ويمثل المدرسة الأولى في حياته، ولهذا كان دور الأبوين

والأسرة أهمّ الأدوار في حياة الإنسان، لأنّ مرحلة الطّفولة تعدّ أخطر مرحلة وأدقّها في إعداد الإنسان وصياغته، ونشوئه صالحاً مستقيماُ صاحب شخصيّة سويّة. وفي هذه المرحلة يتحدّد فيها دوره في مجتمعه ؛ من حيث النفع والضرّ، والخير والشرّ، وصورة البناء، ونوع العطاء، ودرجة التفاعل والتعاون مع أسرته، ومع من يختلط بهم من أفراد مجتمعه.

وكما هو معلوم عند علماء النّفس والاجتماع، وعند المسؤولين في أجهزة الأمن، أن الإخلال بتنشأة الطفل والتقصير فيها ؛ يؤدي إلى عواقب وخيمة، تعود على الطفل ذاته بأسوأ النتائج، وتوقع أسرته ومجتمعه في أعظم المشاكل، وتجعل منه عنصر تدمير وهدم ؛ بدل أن يكون عنصر خير وبناء وعطاء.

وهذا البحث يهدف إلى إبراز هدي النّبي صلّى الله عليه وسلّم في رعاية الأطفال، والعناية بهم في الجوانب كلّها الرّوحية، والبدنيّة، والعلميّة، والنّفسيّة، والاجتماعيّة، وبيان أثر هذه الرّعاية على شخصيّة الأطفال.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة في بيان هدي النّبي صلّى الله عليه وسلّم في رعاية الأطفال، والعناية بهم، وأثر هذه الرّعاية في بناء شخصيّتهم، وقد جاءت الدّراسة لتجيب عن الأسئلة الآتية :

١ - ما الوقت الذي تبدأ فيه رعاية الأطفال؟

٢ - ما الجوانب التي اشتملت عليها رعاية النّبي صلى الله عليه وسلّم للأطفال؟

٣ - هل الرّعاية التي أولاها النّبي صلى الله عليه وسلّم للأطفال تستوعب الجوانب اللازمة لتربيتهم وتنشئتهم في الوقت الحاضر؟

٤ - ما أثر الرّعاية النّبوية للأطفال في بناء شخصيّتهم؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

١ - بيان أنّ رعاية الطّفل تبدأ من بداية مولده، ومنذ السّاعات الأولى في حياته الدّنيويّة.

٢ - إبراز الجوانب أو المجالات التي شملتها رعاية النّبي صلى الله عليه وسلّم للأطفال.

٣ - بيان شمولية الرّعاية التي أولاها النّبي صلّى الله عليه للأطفال وتكاملها.

٤ - الكشف عن أثر الرّعاية النّبويّة للأطفال في بناء شخصيتهم بناء صحيحاً متوازناً.

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث من خلال النّقاط الآتية:

١ - يُبيّن البحث شمول السيرة النّبوية لجميع مناحي الحياة، وأنّها تضع بين يدي المسلم كلّ ما يحتاج إليه من سبل العمارة الدنيويّة والأخرويّة.

٢ - يُؤكّد على أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلّم هو الأسوة الحسنة والمثل الأعلى، لكلّ من يرجو رضا الله تعالى ونعيمه، ويطلب النّجاة في الدّنيا والآخرة.

٣ - يُبْرز مدى عناية النّبي صلى الله عليه وسلّم بطفولة الإنسان وما يلزم لها من التوجيه والرّعاية، ويوضّح الأسس اللازمة لعلاج مشكلات الطفولة في الوقت الحاضر.

٤ - يُظْهر البحث أن المجالات التي رعاها النبي صلى الله عليه وسلّم، تحقّق التوازن في شخصيّة الطفل، وتنشيء طفولة سويّة محصّنة ضد سبل الانحراف، والسلوكيات غير الحميدة.

خطّة البحث

تمّ تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وستة مطالب، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدّمة: وتشتمل على بيان مشكلة البحث، والعرض لأهدافه وأهميّته، وخطّته.

التمهيد: ويتناول التعريفات.

المطلب الأول: رعاية الأطفال روحياً.

المطلب الثاني: رعاية الأطفال علمياً.

المطلب الثالث: رعاية الأطفال نفسياً.

المطلب الرابع: رعاية الأطفال اجتماعياً.

المطلب الخامس: رعاية الأطفال بدنياً.

المطلب السادس: أثر الرّعاية النّبويّة في بناء شخصيّة الطّفل.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصّلت إليها الدّراسة.

وفي الختام أدعو الله أن يهبنا حسن الاقتداء برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن يحقق الخير على أيدي المخلصين من أمته، وأن يكتب للباحث القبول عنده، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد: تعريفات

١- تعريف الهَدْيِ لغة

الهَدْيُ مشتق من هَدَيَ. والهاء والدال والحرف المعتل أصلان كما قال ابن فارس[١]، أحدهما: التقدم للإرشاد، والثاني: بَعثة لَطَفٍ؛ يعني ما أَهْدَيْتَ من لَطَفٍ إلى ذي مَوَدَّةٍ[٢].

والهدي في اللغة يطلق على معان عدة، منها:

أ) الطريقة والسيرة: تقول "فلانٌ يَهْدِي هَدْيَ فلانٍ" أي يفعل مثل فعله ويسير سيرته[٣]، وتقول "ما أحسن هَدْيَهُ وما أحسن هَدْيَتَهُ أو هِدْيَتَهُ" أي ما أحسن سيرتَه[٤]، وهو "حَسَنُ الهَدْيِ والهدْيةِ" أَي حسن الطَّريقَةِ والسِّيرةِ[٥].

ب) الجهة: تقول "نظر فلانٌ هَدْيَ أمره" أي جهته[٦].

ج) السَّمتُ والهَيْئَة: تقول: "ما أحسن هَدْيَهُ" أي ما أحسن سَمْتَهُ[٧]

هـ) القصد: تقول "ذهب على هَدْيَتِهِ" أي على قَصْدِهِ في الكلام وغيره، وتقول "هَدَيْتُ" أي قَصَدْتُ[٨].

---

(١) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، ص١٠٦٦- ١٠٦٧.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، ج٢٠، ص٢٣١؛ والزبيدي، ، تاج العروس، ج١٠، ص٤٠٧.

(٤) ابن منظور، ، لسان العرب، ج٢٠، ص٢٣١، والزبيدي، تاج العروس، ج٤٠، ص٢٨٦.

(٥) الزبيدي، تاج العروس، ج١٠، ص٤٠٧.

(٦) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، ص١٠٦٧.

(٧) الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين، ص٢١٥؛ وابن منظور، لسان العرب، ج٢٠، ص٢٣١؛ والزبيدي، تاج العروس، ج١٠، ص٤٠٧.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ج٢٠، ص٢٣١.

و) ما أهدي إلى مكة من النعم[٩]. قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ﴾[١٠].

٢- تعريف الهدي النبوي اصطلاحاً

يمكن تعريف الهدي النبوي بالآتي:

الهدي النبوي: هو الطريقة التي اتبعها النبي ﷺ في معالجة أمر من الأمور والسيرة التي سار عليها في ذلك تطبيقاً ودعوة وإرشاداً.

وفيما يخص عنوان البحث، فإنّ المراد بالهدي النبوي الطريقة التي سلكها النبي ﷺ والسيرة التي سار عليها في إرشاد الأطفال وتعهدهم وبناء شخصيتهم.

٣- معنى الرِّعاية

الرِّعَايَة في اللغة مشتقة من رَعَى يَرْعَى رَعْياً. قال ابن فارس: الراء والعين والحرف المعتل أصلان، أحدهما المراقبة والحفظ، والآخر الرجوع. فالأول رَعَيتُ الشَّيْءَ: رَقَبْته، ورَعَيته: إذا لاحظته[١١]. وكل من ولي من قوم أمراً فهو رَاعِيهِم، والقوم رَعِيَّتُه، وفلانٌ يَرْعى فُلاناً إذا تَعَاهد أَمْره. واسْتَرعَيْتُه: وَلَّيْتُه أمراً يَرعاه[١٢]، وتطلق الرِّعَاية على حرفة الراعي، والرِّعية: الحالة التي يكون عليها الرَّعي أو الرِّعاية. تقول: هو حسن الرِّعية أو سيء الرِّعية[١٣].

فالرعاية تعني: المراقبة والحفظ والتعهد والتفقد.

---

(٩) المرجع السابق نفسه، ص٢٣٤.

(١٠) آية ١٩٦/ البقرة.

(١١) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، ص٤٠٩.

(١٢) الفراهيدي، العين، ج٢، ص٢٤٠- ٢٤١.

(١٣) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، ص٣٥٦.

٤- تعريف الأطفال

الأَطْفَالُ: جمع طِفْل، والطِّفلُ بكسر الطَّاءِ: الصّغير من أولاد الناس والدواب[١٤]. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[١٥]، وقال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ﴾[١٦].

٥- تعريف الشخصية

تعريف الشخصية لغة: كلمة شخصية في اللغة العربية مشتقة من شَخَص يَشْخَص شخوصاً، قال ابن فارس: "الشين والخاء والصاد أصل واحد يدل على ارتفاع في الشيء"[١٧]. وقال الخطابي: "ولا يسمى شخصاً إلاّ جِسْمٌ مؤلف له شخوصٌ وارتفاعٌ"[١٨]. وذهب ابن جماعة إلى أن حقيقة الشخصية تكون لذات لها شخص وحجم، وأن ذلك مأخوذ من الشخوص وهو الارتفاع، وإنما ذلك في الأجسام[١٩].

وفي المعجم الوسيط تم تعريف الشخصية بأنها صفات تميز الشخص من غيره[٢٠].

تعريف الشخصية اصطلاحاً: لم يتفق العلماء المعاصرون على تعريف الشخصية وبيان مفهومها، وتجاذبتهما تحديدات كثيرة، ويعود ذلك إلى تعدد العلوم

---

(١٤) المقري، أحمد بن محمّد، المصباح المنير، ج٢، ص٣٧٤؛ وحمروش، إبراهيم، وآخرون، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج١، ص٧٤٧.

(١٥) آية ٥/ الحج.

(١٦) آية ٥٩/ النور.

(١٧) ابن فارس، معجم المقاييس، ص٥٥٢.

(١٨) المقري، أحمد بن محمّد، المصباح المنير، ج١، ص٣٠٦.

(١٩) ابن جماعة، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ج١، ص١٩٣.

(٢٠) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، ص٤٧٥.

التي تناولت الشخصية وتداولت مفهومها، ومن هذه العلوم؛ علم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والقانون.

ومن التعريفات المعاصرة للشخصية:

تعريف بِرنس: "الشخصية هي: كل ما كان فطرياً بيولوجياً من الاستعدادات، والنزعات، والميول، والشهوات، والغرائز عند الفرد، وكذلك كل ما اكتسبه الفرد بخبرته من استعدادات وميول"[٢١].

وتعريف روبنشتاين الذي قال في تعريفه: "تفهم الشخصية بأنها ذلك المجموع المتكامل المترابط للاشتراطات الداخلية الممتزجة بوساطة كل المؤثرات الخارجية"[٢٢].

وتعريف بودن، الذي يقول: "الشخصية: هي تلك الميول الثابتة عند الفرد، التي تنظم عملية التوافق بينه وبين البيئة"[٢٣].

وكل تعريف من هذه التعريفات اعتمد نظرية معينة في تفسير الشخصية.

ويشكل عام فإن هذا المصطلح عند العلماء تناول جانبين في الإنسان: أحدهما: المظهر الخارجي، وثانيهما: جوهر الإنسان وطبيعته الداخلية[٢٤]. ولا بد من التأكيد على أنَّ السنة لم تقتصر على أحد الجانبين، بل جمعت بينهما؛ حيث اعتنت بظاهر الإنسان سلوكاً وهيئة، واهتمت بجوهره وطبيعته الداخلية، وشملت بتوجهاتها جوانب الشخصية كلها: الروحية، والعقلية، والجسمية، والنفسية، والعاطفية، والاجتماعية.

---

(٢١) كامل، يونس، وآخرون، الشخصية وقياسها، ص٨.

(٢٢) أبو عبية، محمد حسن، الشخصية بين النظرية والتطبيق التربوي، ص٣٨.

(٢٣) كامل، يونس، وآخرون، الشخصية وقياسها، ص١٠.

(٢٤) المرجع السابق نفسه، ص٧.

ولن أتعرض في هذا المقام لتعريفات الشخصية وتقسيماتها لدى أهل العلم بحسب تخصصاتهم، فذلك أمر يطول وليس ذلك من أهداف البحث. ثمّ إنّ مناقشتها لن توصل إلى نتيجة مقنعة مقبولة لكونها نبعت من منطلقات لا تقوم على أساس الشرع والدين، ولم تتقيد بعقيدة التوحيد التي أمرنا الله تعالى باتباعها.

التعريف الإجرائي:

رأيت أن أضع تعريفاً إجرائياً أبني عليه هذا البحث، فأقول:

الشخصية: هي ما ينطوي عليه الفرد من عقيدة، وعلم، وأخلاق، ومعانٍ وجدانية، تنعكس على سلوكه وهيئته، وتميزه عن غيره.

المطلب الأول: رعاية الأطفال روحياً

من يقرأ في السنّة الشّريفة، يلحظ عناية النّبي صلّى الله عليه وسلّم بالطّفل روحياً منذ أيامه الأولى، ويجد أنّ أول ما يطرق سمعه ذكر الله تعالى، الذي يحصل بإسماعه الأذان في الأذن اليمنى، وإسماعه الإقامة في الأذن اليسرى. ودليل ذلك قول أبي رافع رضي الله عنه: **(رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم أذَّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ، بِالصَّلَاةِ)**[٢٥]. ولعلّ الحكمة من ذلك تتمثّل بأن يكون أول شيء يطرق سمع الطّفل هو اسم الله تعالى، وأن تكون الدعوة إلى الله تعالى وإلى عبادته سابقة لدعوة الشيطان وغوايته.

---

(٢٥) رواه أبو داود والترمذي من حديث سفيان، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه. وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

انظر: أبا داود، السنن، كتاب الأدب، باب في الصبي يولد فيؤذن في أذنه، ح٥١٠٥، ج٤، ص٣٢٨؛ والترمذي، السنن، الجامع، كتاب الأضاحي، باب الأذان في أذن المولود، ح١٥١٤، ج٤، ص٩٧.

ومن يدقّق في الأذان والإقامة يجد فيهما الشهادتين إلى جانب الدّعوة إلى الصّلاة، ويجد فيهما البيان بأنّ الله تعالى أكبر من كلّ شيء خلقه وأوجده. ولا شكّ أن لهذا كلّه أثراً في نفس الطّفل، وغرساً لمعنى الإيمان وتنبيهاً إلى أهمية الصلاة وضرورة أدائها.

وينقل لنا ابن عبّاس تعليم النبي صلّى الله عليه وسلّم له أمور العقيدة وهو غلام صغير، فيقول: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم يَوْمًا فَقَالَ: (**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**)[٢٦].

وهذه المواقف وما فيها من توجيهات نبويّة، تحمل في طيّاتها رسالة إلى القائمين على تربية الأطفال وتأديبهم وتعليمهم، مفادها ضرورة غرس كلمة التوحيد ومباديء العقيدة في نفوس الصغار، والتركيز على معاني الإسلام والإيمان في تعليمهم وإرشادهم، لأنّ قلب الصغير إذا لم تُغرَس فيه العقيدة الصّحيحة، ولم تصل إليه كلمة التوحيد الخالص، ولم يُعْمَر بالدّعوة إلى عبادة الله وامتثال أمره، فإنّه سوف يُشْغل بدعوات أخرى لا تمت إلى دين الحقّ بصلة، ولن يعرف الطريق الموصلة إلى مرضاة الله تعالى.

---

(٢٦) رواه الترمذي وأحمد، من طريق قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

انظر: الترمذي، السنن، كتاب صفة القيامة والرّقائق، باب منه، ح٢٥١٦، ج٤، ص٦٦٧، وأحمد، المسند، ح٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٤، ج١، ص٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧.

يقول الدكتور أحمد عمر هاشم: "فالعقيدة الصحيحة هي مناط شخصية المسلم، إنها تعنى بالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر؛ خيره وشره وحلوه ومرّه"(٢٧).

وفي مسألة الصلاة والمحافظة عليها، نجد النّبي صلّى الله عليه وسلّم يوجّه أنظار الوالدين ومن يلي أمر الصّغار إلى االاهتمام بهذه العبادة، ويوضّح لهم أن يباشروا الأمر بالصلاة للصغار من سنّ السّابعة، فيقول: **(مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصّلاةِ وَهُمْ أَبْناءُ سَبْعِ سِنينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْها وَهُمْ أَبْناءُ عَشْرٍ، وَفَرّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ)**(٢٨).

والاهتمام بموضوع الصّلاة، يدل على أنّها الأساس في ا لعبادات كلّها، وأنّ الصغير، إذا بلغ العاشرة ولم يحافظ على صلاته، فإنّه يضرب ضرب تربية وتأديب؛ ليشعر بالتقصير، وليعلم أنّ مسألة الصلاة من الأمور الضّرورية التي لا تهاون فيها.

ويأمر النّبي صلى الله عليه وسلّم في هذا الحديث بالتفريق بين الأطفال في المضاجع إذا بلغوا العاشرة، وأن يُجْعل لكلّ منهم فراشاً مستقلاً. وموضوع الاستقلال بالفراش من الموضوعات التي تحتاج إلى رعاية الوالدين أو من يقوم على تربية الصّغار، لأنّ الحكمة من تشريع هذا الأدب هي حماية الأطفال من الشذوذ الجنسي، الذي أصبح عامّاً وطامّاً في وقتنا الحاضر، وأصبح له جمعيّات ومنتديات تحميه وتدعو إليه، وصار من أخطر الوسائل لهدم القيم والقضاء على المباديء، ونشر الفاحشة والرّذيلة، وإضعاف جيل الشباب نتيجة انتشار الأمراض الخطيرة الفتّاكة التي تنشأ من العلاقات الجنسيّة المحرّمة. والأخطر من ذلك كلّه – نتيجة عدم التزام هذا الأدب - أن تقع الفاحشة بين المحارم أو الأقارب التي تقضي على صلة القربى، والتي تحدث هزّة

(٢٧) هاشم، أحمد عمر، الإسلام وبناء الشخصية، ص٩.

(٢٨) حديث حسن، رواه أبو داود من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه.
انظر: أبا داود، السنن، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ح٤٩٥، ج١، ص١٣٣.

عنيفة في شخصيّة الطّفل، تؤدّي إلى إصابته بالأمراض النفسيّة، وتؤثر على تنشئته الإيمانية السويّة.

وفي دراسة أجراها العالم الأمريكي "ألفريد كنسي" بعنوان "السلوك الجنسي لدى الأمريكيين"، وقام بتطبيقها على اثني عشر ألف مواطن من مختلف شرائح المجتمع الأمريكي، وكان من ضمن الأسئلة الموجهة لهم السؤال عن أول تجربة جنسيّة مارسها في حياته، وكانت النتيجة أنّ ٢٢٪ كانت أول تجربة له في سنّ العاشرة، وأنّها كانت مع الأخ أو الأخت أو الأمّ في فراش النّوم(٢٩).

إنّ رعاية الأطفأل روحياً تربطهم بالله تعالى، وتعوّدهم ذكره سبحانه، وتحصّل لهم الطمأنينة القلبيّة؛ في وقت زاد فيه الضّغط النّفسي على الصّغار والكبار نتيجة المدنّية غير المنضبطة، والحضارة العرجاء التي تغذي الشهوات، وتثير الغرائز، وتطلقها بقوة بعيدة عن صورة الاتزان. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾(٣٠).

وهذه الرّعاية التي أولاها النّبي صلّى الله عليه وسلّم للصغار؛ يفقدها أو يفقد بعضها كثير من الأطفال في هذه الأيّام، حيث يحصل التقصير في التربية نتيجة انشغال الوالدين بالعمل خارج البيت، وترك الأبناء الصّغار بدون توجيه إلى الأخذ بتعاليم الدّين الحنيف، ودون تعلّم لعقيدة الإسلام وأحكامه، ويترك الأطفال لشياطين الإنس والجنّ تتخطّفهم، ولدعوات الغواية والضلال تنهب فطرتهم، وتفسد دينهم وخلقهم.

---

(٢٩) محمود، مي محمّد موسى، موسوعة التربيّة النّفسيّة للأطفال، ص٢٢٣.

(٣٠) آية ٢٨/ الرعد.

المطلب الثاني: رعاية الأطفال علمياً

يعدّ التعليم من أهم حقوق الطّفل، لأنّه من الأمور التي لا يستغني عنها الإنسان الذي ميّزه الله بهذه الميزة عن سائر الخلائق. والإسلام أقام مبادئه وشريعته على أساس العلم، وطالب أتباعه بالتعلم والحرص الشديد عليه.

يقول أحمد عمر هاشم: "وتتسامى شخصية المسلم بالعلم، فهو الذي يكشف له طريق الحق والخير، وينير مسالك الحياة، فيمضي فيها على هدى مترسماً معالم الرشد والإصلاح، فتتميز شخصيته عن غيره"(٣١).

وقد باشر النبي صلّى الله عليه وسلّم تعليم الصحابة بنفسه، وخصّ الأطفال بالتوجيه والتعلم، وروي أنّه جعل فداء بعض الأسرى يوم بدر، تعليم أبناء الصحابة الكتابة(٣٢). وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مدى حرص النّبي صلّى الله عليه وسلّم على تعليم الأطفال، وإخراجهم من دائرة الجهل إلى دائرة النّور والهداية. وقد ورد في سنّته صلّى الله عليه وسلّم ما يوضّح ذلك، ومن الأحاديث الواردة في هذا الباب:

١ -روى عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم(٣٣)، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ(٣٤)، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله

---

(٣١) هاشم، أحمد عمر، الإسلام وبناء الشخصية، ص١٧.

(٣٢) حديث رواه أحمد وإسناده ضعيف لانقطاعه، فيه علي بن عاصم لم يسمع من داود بن أبي هند. (أحمد، المسند، ح٢٢١٦، ج١، ص٢٤٧).

(٣٣) في حِجْرِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أي في حُضْنِهِ. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١، ص٣٤٢)

(٣٤) (تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ): تطيش يده: أي تجول في جهاتها وتأخذ من نواحيها ولا تقتصر على مكان واحد. (الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين، ص٣٨٧).
والصحفة: القصعة التي تشبع الخمسة. (الزمخشري، الفائق، ج٣، ص٢٦٦).

عليه وسلّم: (**يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي[٣٥] بَعْدُ[٣٦].

وفي هذا الحديث نجد النّبي صلى الله عليه وسلّم لم يقتصر على معالجة حركة يد الغلام في نواحي الإناء، بل زاده على ذلك ضرورة التسميّة عند الطّعام، وضرورة الأكل باليمين، كما أنّنا نلحظ أن معالجة طيش يده في الصّحفة كانت آخر التوجيهات الواردة، وتمثلت بقوله صلى الله عليه وسلّم (وكلْ ممّا يليك). ولعلّ الحكمة في تأخيرها تعود إلى أنّ النّبي صلى الله عليه وسلّم، أراد أن يستفيد عمر بن أبي سلمة أدبين آخرين من آداب الأكل، وأن يثبت أمر النّبي صلى الله عليه وسلّم وإرشاده في قلبه، قبل أن يتلقى النقد في مسألة تحرك يده في الصّحفة كلّها، ولو بدأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمعالجة الخلل المذكور؛ لما استوعب عمر الأدبين الآخرين، لأنّ طبيعة الإنسان إذا انتقد في أمر، أن ينشغل فيه، ولا يعود يفكّر فيما سواه.

٢ -تقدّم في المطلب السّابق حديث ابن عبّاس، الذي ذكر فيه تعليم النبي صلّى الله عليه وسلّم له أمور العقيدة وهو غلام، وبيّن فيه ما يجب على المسلم أن يعرفه من أمور الاعتقاد، حتّى يبقي دينه صحيحاً سليماً.

---

(٣٥) طِعمتي: أي حالتي في الأكل بمعنى صفة أكلي. (ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص١٢٦).

(٣٦) رواه البخاري ومسلم، من طريق سفيان بن عيينة، عن الوليد بن كثير، عن وهب بن كيسان، عن عمر بن أبي سلمة.

انظر: البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، ح٥٠٦١، ج٥، ص٢٠٥٦؛ ومسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الأشربة، باب آداب الطّعام والشّراب وأحكامها، ح٢٠٢٢، ج٣، ص١٥٩٩.

ولو دققنا في خطاب النّبي صلى الله عليه وسلّم لابن عبّاس ولعمر بن أبي سلمة في الحديث السابق، لوجدنا أنّه صلى الله عليه وسلّم خاطبهما بأسلوب النّداء **(يا غلام)**، وهذا الأسلوب بهذه العبارة المذكورة ترفع من شأنهما، وتعزّز الثقة بنفسيهما، وتجعلهما في مُسْتوى مَنْ هُوَ أهلٌ لتحمّل المسؤوليّة، وهو أسلوب حكيم منه صلى الله عليه وسلّم.

والنّبي صلّى الله عليه وسلّم علّم ابن عبّاس أدقّ مسائل العقيدة، التي تلزم كلّ مسلم، وكان قد وعاها رضي الله عنه، بدليل أنّه بلغها وعلمّها غيره من المسلمين. وهذا يدلّ على أنّه أهلٌ لتحمّل العلم عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ولنباهة ابن عبّاس رضي الله عنهما، نجد النّبي صلّى الله عليه وسلّم يحرص على الدّعاء له بالعلم، فيقول: **(اللهم فقهه في الدين)**[٣٧]، وفي رواية: **(اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)**[٣٨].

٣ -تقدّم في المطلب السّابق حديث **(مروا أبناءكم بالصلاة لسنّ سبع، ...)**، وهذا يعني أنّ تعليم الطّفل ما يخصّ الصلاة يكون قبل سنّ السّابعة، لأنّ القيام بالفعل لا يكون إلاّ بعد تعلمّه والعلم به.

---

(٣٧) البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، ح١٤٣، ج١، ص٦٦.

(٣٨) رواه أحمد، وابن حبان، والطبراني في الكبير والأوسط بإسناد صحيح، وثلاثتهم رواه من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أحمد، المسند، ح٣١٠٢، ج١، ص٣٣٥؛ وابن حبان، الصّحيح، باب ذكر وصف الفقه والحكمة اللذين دعا المصطفى ﷺ لابن عباس بهما، ح٧٠٥٥، ج١٥، ص٣٥١؛ والطبراني، المعجم الكبير، ح١٠٦١٤، ج١٠، ص٢٦٣، والمعجم الأوسط، ح٤١٧٦، ج٤، ص٢٧٣.

٤ -روى أَبـو هُرَيْـرَةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ قَـالَ: **(أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كِخْ كِخْ[٣٩] ارْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ)**[٤٠].

ونلحظ في هذا الحديث مخاطبة النّبي صلّى الله عليه وسلّم للحسن رضي الله عنه، الذي لم يكن مميزاً، بل كان طفلاً صغيراً يحمله النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وقد ورد توضيح ذلك في بعض الرّوايات حيث بيّنت أنّ النّبي صلى الله عليه وسلّم ما علم بأخذ الحسن التمرة إلاّ بعد أن حمله وسال لعابه عليه، فنظر فإذا تمرة في فمه رضي الله عنه، فحرّك النّبي صلى الله عليه وسلّم خدّه لتخرج التمرة، وطالبه بطرحها من فمّه، وأخذ يعلمّه ويقول **(أما علمت أنّا لا نأكل الصّدقة)**، أي إذا كنت لا تعلم أنّ الصّدقة حرام علينا فاعلم ذلك.

ويؤخذ من فعل النّبي صلى الله عليه وسلّم وقوله أنّ غير المميز من الأطفال يوجه إليه خطاب العلم، وأنّه أهلٌ لأن ينبّه إلى الحلال والحرام، وأنّ على المسلمين أن لا يتركوا أطفالهم دون توجيه أو تعليم حتّى يصلوا إلى سنّ التمييز، أو سنّ البلوغ بحجّة أنّهم صغار وأنّنا لا نريد سجنهم وكبتهم وتقييد حرياتهم. فهذا القول وأمثاله من الطرح في حقّ الأطفال باطل لا يلتفت إليه، وعلى المسلمين أن يربّوا أبناءهم من الصغر على الالتزام بمسائل الشرع والدّين، في الملبس، والهيئة، والعادات،

---

(٣٩)كِخْ كِخْ: هو زجر للصبي وردع، ويقال عند التقذر أيضاً.
ابن الأثير، النهاية، ج٤، ص١٥٤؛ وابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص١٨٥.

(٤٠) رواه البخاري ومسلم من حديث شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة ﷺ.
البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب ما يُذكر في الصّدقة للنبي ﷺ وآله، ح١٤٢٠، ج٢، ص٥٤٢؛ ومسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله، ح١٠٦٩، ج٢، ص٧٥١.

والجلسات، والرّحلات، وغيرها. وهذا لا يعني أن لا نعطيهم الحرية في اللعب والمرح، واختيار اللباس، والمشاركة في المناسبات والاحتفالات، والخروج في السياحة والرّحلات، في إطار المحافظة على أحكام الشرع، والالتزام بمباديء الدّين وعدم تجاوزها.

المطلب الثالث: رعاية الأطفال نفسياً

الحاجات النفسية هي حاجات غير عضوية ترتبط بالنمو السلوكي، وتزكية النّفس، وتنمية الصحة النفسية، والوقاية من الانحرافات السلوكية، والاضطرابات النّفسية، ومن أهم هذه الحاجات الحاجة إلى الأمن والطّمأنينة[٤١].

وتربية الطّفل وبناء شخصيّته بصورة سويّة، من الأمور التي اهتمّ بها الإسلام، وحث عليها، وبيّن جوانبها من خلال تطبيقات النبي صلّى الله عليه وسلّم وتوجيهاته، حيث يلزم الوالدان مراعاة ذلك بأناة وصبر، وخبرة وعلم، ولا يجوز الاستهانة بهذا الجانب، الذي ينبني عليه –عند التقصير فيه - سلوك سلبي، كالعزلة، والانطواء، والخوف، والاضطراب، وغير ذلك من السلوك غير الحميد.

ونجد أن منهج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في ذلك كان يتمثل أحياناً بمداعبة الأطفال – وهو عنصر هام في بناء شخصيتهم -، وبالسؤال عنهم ومخالطتهم، وحملهم على الدّواب مع الكبار في الأسفار والزّيارات، وإحضارهم إلى مجالس الكبار، وغير ذلك من الأساليب المتعدّدة التي تبني شخصيّة الطّفل وتصقلها، وتنمّي مواهبه وتغذّيها، وتصل بالطّفل إلى المستوى المطلوب من الشخصيّة السويّة.

---

(٤١) مرسي، كمال إبراهيم، الأسرة: التعريف والوظائف والأشكال، ص٤٠.

ومن الأحاديث الواردة في هذا الباب:

١ -روى أَبو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه قَالَ: **(رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم يَؤُمُّ النَّاسَ، وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ وَهِيَ ابْنَةُ زَيْنَبَ بِنْتِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم عَلَى عَاتِقِهِ، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا، وَإِذَا رَفَعَ مِنْ السُّجُودِ أَعَادَهَا)**(٤٢).

٢ -وعن الْبَرَاءَ بن عازِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **(رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ)**(٤٣).

وهذه الصورة من الحمل على العاتق، هي نوع من التصاق الصّغير، وهذا الالتصاق يدفع بالعاطفة من الكبير نحو الطّفل الصّغير، فيرتاح الصغير نفسياً، ويتغذى عاطفياً، ويتزوّد بالطاقة اللازمة؛ التي تدفع به للانطلاق في المجتمع المحيط به، دون خوف أو اضطراب، وتؤهله عند الكبر لأن يدخل معترك الحياة براحة تامّة، وأن يكون تعامله مع الآخرين فيه السهولة والرّفق واللين.

ونجد صورة الالتصاق تحصل بالضمّ إلى الصّدر، وهو من أعظم صور الإمداد بالعاطفة، التي تعطي الأمن والأمان للطفل الصّغير، وتمنحه الرّاحة والطمأنينة، وتجعل إقباله شديداً على من يغذيه بالمودّة والمحبّة عن طريق اللمس والاتصال البدني. وفي هذا يروي أسامة ابن زيد فيقول: **(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني**

---

(٤٢) رواه البخاري ومسلم واللفظ له، من طريق عمرو بن سُليم الزُّرقي، عن أبي قتادة الأنصاري ﷺ.
انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ح٥٦٥٠، ج٥، ص٢٢٣٥؛ ومسلم، الجامع الصحيح، كتاب المساجد، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة، ح٥٤٣، ج١، ص٣٨٥.

(٤٣) رواه االبخاري ومسلم من طريق شعبة بن الحجاج، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب ﷺ.
انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصّحابة، باب مناقب الحسن والحسين، ح٣٥٣٩، ج٣، ص١٣٧٠؛ ومسلم، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين، ح٢٤٢٢، ج٤، ص١٨٨٣.

فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الآخر، ثم يضمهما، ثم يقول: اللهم ارحمهما فإني أرحمهما)[٤٤]، وفي رواية أخرى له أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم: **(كان يأخذه والحسن ويقول: اللهم إني أحبهما فأحبهما)**[٤٥].

والضمّ إلى الصّدر، واتصال البدن بالبدن، هو تعبير عن رحمة الصغير وترجمة للمحبّة له، كما صرّح بذلك النّبي صلّى الله عليه وسلّم. وإذا حصل مع هذا الاتصال البدني الدّعاء بالرّحمة، والتعبير عن المحبّة بصوت يسمعه الصّغير، فإنّ غاية المقصود قد حصلت من منحه ما يلزمه من طمأنينة قلبية، وأمان كامل في مجتمعه المحيط به، وثقة مطلقة بوجود المحبّة وتقبل الآخرين له، وهذا كلّه ينشّئه التنشئة المستقيمة، ويصيغ شخصيّته بصورة سويّة، تدفعه إلى التعامل مع غيره دون خوف أو إحجام، وتحول دون انسحابه من المحيط به ومن ثمّ الانطواء على نفسه.

ويَسنّ النّبي صلى الله عليه وسلّم القُبْلة للصّغير، وهي صورة من صور الاتصال البدني، وفيها مسّ البشرة للبشرة، وهذا المس بالقُبلة؛ يعطي الطّفل قدراً كبيراً من العاطفة اللازمة لبناء شخصيّته، ونماء مشاعره وأحاسيسه، وضبط سلوكه وتصرفاته، وتحصينه من الانحراف في مستقبل أيّامه.

رَوى أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **(قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا)، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم، ثُمَّ قَالَ: (مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ)** [٤٦].

---

(٤٤) البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الأدب، باب وضع الصبي على الفخذ، ح٥٦٥٧، ج٥، ص٢٢٣٦.

(٤٥) البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب فضائل الصّحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ح٣٥٣٧، ج٣، ص١٣٦٩.

(٤٦) رواه البخاري ومسلم من طريق ابن شهاب الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ﷺ.

وفي لفظ آخر للحديث، قال له صلّى الله عليه وسلّم: (**أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟!**(٤٧))(٤٨).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم: (**من لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا**)(٤٩).

ونجد في حديث أبي قتادة السّابق ما يدلّ على عظمة هذا الدّين من جهة أنّه جعل للطفل فسحة مع أعظم عبادة وهي الصلاة، يأخذ فيها حظّه من أبيه أو أمّه من غير أن يفسد على الواحد منهما صلاته، فهذه أمامة يحملها النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ويصعد بها المنبر، ويخطب بالنّاس، ثمّ يصلّي وهو يحملها، فإذا ركع أو سجد أجلسها، وإذا قام رفعها. وقريب من هذا ما كان يحصل من الحسن بن علي، الذي كان يركب ظهر جده صلّى الله عليه وسلّم ويرتحله وهو ساجد في صلاة الجماعة، ولا يرفع رأسه حتّى يأخذ الصّغير حظّه من الركوب ثمّ ينزل.

انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ح٥٦٥١، ج٥، ص٢٢٣٥؛ ومسلم، الجامع الصحيح، كتاب الفضائل، باب رحمته الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، ح٢٣١٨، ج٤، ص١٨٠٨.

(٤٧) معنى (أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ): أي لا أملك لك شيئاً بعد أن نزع الله الرّحمة من قلبك. قال العيني في معناه: "لا أقدر أن أجعل الرحمة في قلبك بعد أن نزعها الله منه". (العيني، عمدة القاري، ج٢٢، ص١٠٠.

(٤٨) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ح٥٦٥٢، ج٥، ص٢٢٣٥.

(٤٩) رواه أبوداود وأحمد من طريق سُفْيَانُ، عن ابن أبي نَجِيحٍ، عن عبد الله بن عَامِرٍ، عن عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو رضي الله عنهما، ورواه الترمذي وأحمد من طريق محمد بن إسحاق، عن عَمْرِو بن شُعَيْبٍ، عن أبيه، عن جَدِّهِ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وقال الترمذي: "حديث صحيح"

انظر: أبا داود، السّنن، كتاب الأدب، باب في الرحمة، ح٤٩٤٣، ج٤، ص٢٨٦؛ والترمذي، السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، ح١٩٢٠، ج٤، ص٣٢٢؛ وأحمد، المسند، ج٢، ص٢٠٧، ٢٢٢.

روى شدّاد بن الهاد الليثي ﷺ قال: (**خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشي وهو حامل حسنا أو حسينا، فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم، فوضعه ثم كبر للصلاة، فصلى، فسجد بين ظهري صلاته سجدة أطالها. قال أبي: فرفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال الناس: يا رسول الله! إنك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، وأنه يوحى إليك؟! قال: كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**)[٥٠].

وروى أَبُو بَكْرَةَ قَالَ: (**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَثِبُ عَلَى ظَهْرِهِ إِذَا سَجَدَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ ...الحديث**)[٥١].

وإنّنا نجد في هذا الحديث أنّ الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُما يرتقي ظهر جدّه صلّى الله عليه وسلّم إذا سجد، ولا يُفْسِد صنيعه هذا صلاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا صلاة من معه من المسلمين. ونجد في حديث آخر أنّ النبيّ صلّى الله عليه

---

(٥٠) رواه النسائي وأحمد بإسناد صحيح، وكلاهما رواه من طريق يَزِيدُ بن هَارُونَ، عن جَرِيرُ بن حَازِمٍ، عن محمد بن يَعْقُوبَ البصري، عن عبد اللَّهِ بن شَدَّادٍ عن أبيه شداد بن الهاد ﷺ.

انظر: النسائي، السنن الكبرى، كتاب التطبيق، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة، ح٧٢٧، ج١، ص٢٤٣؛ وأحمد، المسند، ح٢٧٦٨٨، ج٦، ص٤٦٧.

(٥١) رواه أحمد بإسناد حسن، فيه مبارك بن فضالة (صدوق مدلس)، ولا يضر تدليسه لأنه صرح بالسماع. قال أحمد: ثنا هَاشِمٌ، ثنا الْمُبَارَكُ، ثنا الْحَسَنُ، ثنا أبو بَكْرَةَ قال: (كان رسول اللَّهِ ﷺ يصلي بِالنَّاسِ... الحديث).

انظر: أحمد، المسند، ح٢٠٤٦٦، م٥، ص٤٤.

وسلّم يقطع خطبته وينـزل، من أجل أن يحمل الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُما الذي دخل المسجد وهو يخطب، ويصعد به المنبر ليتم خطبته.

ولقد أقام النّبي صلى الله عليه وسلّم مسألة التعامل مع الأطفال على مبدأ الرّحمة، وجعل ذلك هو الأساس في رعايتهم، ويتضح ذلك في سنته القولية والفعليّة، وكان أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد لخّص ذلك بقوله: **(مَا رَأَيْتُ أَحَداً كانَ أَرْحَمُ بِالعِيالِ مِنْ رَسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم)**(٥٢).

إنّ النّبي صلى الله عليه وسلّم نبّه المسلمين إلى ضرورة العناية بالجانب النّفسي للأطفال، عن طريق التّعامل الرّفيق معهم، وإشباع حاجاتهم النّفسيّة، ومعرفة ميولهم في نشاطاتهم اليوميّة، باختيار ما يحبّونه، ومنحهم العاطفة الصّادقة، التي تمثّل غذاءهم النّفسي في مراحل حياتهم الأولى، ويظهر هذا في مجموعة من التطبيقات العملية، التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلّم مع غير أحفاده، من أجل أن يقتدي به فيها المسلمون، ومن أجل أن يستفيد من ذلك المربون في المؤسّسات التربويّة، ومراكز الصّحة النفسيّة، والأطباء والخبراء في المجال النفسي. ومن المواقف الموضّحة لذلك الآتي:

١ -موقفه صلّى الله عليه وسلّم مع محمود بن الرّبيع رضي الله عنه، الذي داعبه عليه الصّلاة والسّلام بالماء، والذي بيّنه ابن الرّبيع بقوله: **(عَقلتُ من النبي صلى الله عليه وسلم مَجَّةً(٥٣) مَجَّها في وجهي وأنا ابن خمسِ سنينَ من دَلْوٍ)**(٥٤).

---

(٥٢) مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الفضائل، باب رحمته صلّى الله عليه وسلّم الصّبيان والعيال، ح٢٣١٦، ج٤، ص١٨٠٨.

(٥٣) المج: الصب، والمعنى المراد في الحديث هو: إرسال الماء من الفم مع نفخ.

انظر:الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين، ص٤٥٢؛ والقاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج١، ص٣٧٤.

وهذا الفعل منه صلى الله عليه وسلّم فيه مداعبة للأطفال بشيء يحبّونه وهو الذي أخذه النّبي صلى الله عليه وسلّم بفمه من دلو كان في بيت محمود بن الرّبيع، ولا ننسى أنّ نقول، إنّ هذه المداعبة لهذا الصّغير كانت أثناء زيارته صلّى الله عليه وسلّم لبيتهم.

وهذه المجّة التي أرسلها النّبي صلّى الله عليه وسلّم، تعطي الطفل الصّغير الرّاحة، وتذهب بالتراكمات النّفسية التي يشعر بها نتيجة إهمال الكبار له، وانشغالهم بأمور الحياة عنه. والنّاظر في أيّامنا هذه يجد الأطفال بحاجة ماسّة إلى هذه المعاني التي افتقدوها، نتيجة انشغال الآباء والكبار عنهم في مجالات العمل، وأمور الحياة الدّنيا.

٢ -تسليته صلى الله عليه وسلّم للأطفال حال تعرضّهم لأزمة نفسيّة، نتيجة فقدهم لشيء يحبّونه أو يتملّكونه، فقد مرّ صلى الله عليه الصّلاة والسلام على أخٍ لأنس بن مالك رضي الله عنهما، وقد مات عصفور له، فأخذ يسليه ويقول: **(يا أبا عمير ما فعل النّغير**[٥٥]**)**[٥٦].

٣ -مسحه رأس اليتيم، وهذا المسح فيه ملامسة الكفّ لرأس الطّفل الذي فقد أباه، والذي فقد معه جزءاً من العطف والحنان، ويروي عبد الله بن جعفر رضي

---

(٥٤) رواه البخاري ومسلم من طريق الزُّهْرِيِّ عن مَحْمُودِ بن الرَّبِيعِ رضي الله عنه.

انظر: البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب العلم، باب متى يصح سماع الصغير، ح٧٧، ج١، ص٤١؛ ومسلم، الجامع الصّحيح، كتاب المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، ح٣٣، ج١، ص٤٥٦.

(٥٥) النُّغير: طائر يشبه العصفور أحمر المنقار، وقيل هو من صغار العصافير.

انظر: ابن الجوزي، غريب الحديث، ج٢، ص٤٢١؛ وابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص٥٨٤.

(٥٦) رواه البخاري ومسلم من طريق أبي التَّيَّاحِ يزيد بن حميد، عن أَنَسَ بن مَالِكٍ ﷺ.

انظر: البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، ح٥٧٧٨، ج٥، ص٢٢٧٠؛ ومسلم، الجامع الصّحيح، كتابالآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، ح٢١٥٠، ج٣، ص١٦٩٢.

الله عنهما، أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم مرّ به وهو يلعب مع ابني العباس، فأردفه على الدّابة وراءه، ومسح برأسه ثلاثاً، وقال كلّما مسح: **(اللهم اخلف جعفراً في ولده)**(٥٧).

وقد كان صلى الله عليه وسلّم يحثّ على مسح رأس اليتيم، ويبيّن أنّه سبب في تليين القلوب القاسيّة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا شكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال له: **(إنْ أَرَدْتَ تَلْيِين قَلْبِكَ، فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ)**(٥٨).

وكان ﷺ يمسح خدّ الولدان، ملاطفة لهم، وتوداً إليهم، والتواصل معهم بدنياً، وكل هذا يعمل على استقرار نفوسهم، وأنسهم بمن حولهم، وقد روى جَابِرِ بن سَمُرَةَ ﷺ في هذا حديثاً فقال: **(صَلَّيْتُ مع رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إلى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ معه، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ**

---

(٥٧) رواه النسائي وأحمد بإسناد حسن، فيه خالد بن سارة القرشي المخزومي (صدوق)، وكلاهما رواه من طريق ابن جريج، عن جعفر بن خالد بن سارة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر.(انظر: النسائي، السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول للخائف، ح١٠٩٠٥، ج٦، ص٢٦٣؛ وأحمد، المسند، ح١٧٦٠، ج١، ص٢٠٥).

(٥٨) وراه أحمد والبيهقي من طريق حَمَّاد بن سَلَمَةَ، عن أبي عِمْرَانَ، عن رجل، عن أبي هُرَيْرَةَ.

المسند، ح٧٥٦٦، ج٢، ص٢٦٣، والبيهقي، السنن الكبرى، الجنائز، باب ما يستحب من مسح رأس اليتيم وإكرامه، ح٦٨٨٦، ج٤، ص٦٠.

والحديث ضعيف لوجود راو مبهم في إسناده، ولكنه يتقوى بشاهد له من حديث أبي الدرداء فيرتقي إلى الحسن لغيره، وحديث أبي الدرداء ﷺ رواه عبد الرزاق في مصنفه عن معمر، عن صاحب له، عنه.

عبد الرزاق، المصنف، ح٢٠٠٢٩، ج١١، ص٩٧.

وَاحِدًا وَاحِدًا. قال: وَأَمَّا أنا فَمَسَحَ خَدِّي. قال: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أو رِيحًا، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا من جُؤْنَةِ عَطَّارٍ (٥٩)) (٦٠).

قال النووي: "وفي مسحه صلى الله عليه وسلم الصبيان، بيان حسن خلقه، ورحمته للأطفال وملاطفتهم"(٦١).

المطلب الرابع: رعاية الأطفال اجتماعياً

الجانب الاجتماعيّ من القضايا الإساسيّة في حياة الإنسان، ومن الحاجات الضروريّة له، وهو حاجة غير عضويّة هدفها تنمية علاقة الإنسان بالآخرين، والارتباط بهم، والانتماء إليهم(٦٢). وقد راعى النّبي صلى الله عليه وسلّم هذه الحاجّة، وربط الطّفل بمحيطه الذي يعيش فيه، بصورة لا نكاد نجدها إلاّ في المجتمع المسلم، الذي يلتزم تعاليم ربّه وهدي نبيّه صلّى الله عليه وسلّم.

والنّاظر في فعل النّبي عليه الصلاة والسلام وإرشاداته، يجد أنّ هذا الرّبط يبدأ من الإيّام الأولى في حياة الطّفل، وذلك ضمن ترتيبات سنّها النّبي صلّى الله عليه وسلّم للمولود الجديد، ومن هذه الترتيبات الآتي:

---

(٥٩) جُؤنة العطار: جونة بهمز وبدون همز، وجونة العطار، سُليلة مستديرة مغشاة أدما، تكون مع العطارين. (الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ج١، ص٥٠.)

(٦٠) مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي صلّى الله عليه وسلّم ولين مسّه، ح٢٣٢٩، ج٤، ص١٨١٤.

(٦١) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج، ج١٥، ص٨٥.

(٦٢) مرسي، كمال إبراهيم، الأسرة، ص٤١.

١ -**تحنيكه**(٦٣) **والدّعاء له**: ويستحب أن يتولّى ذلك إنسان صالح، فيكون أول لقاء لهذا المولود بأهل الخير والفضل من النّاس، وقد كان الصحابة –رضي الله عنهم - يذهبون بأبنائهم إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم من أجل أن يحنّكهم، ويدعوَ لهم، ويسمّيهم.

روت عائشة رضي الله عنها: (**أنّ رَسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عليهِ وَسَلّمَ كانَ يُؤْتَى بِالصِّبْيانِ، فَيُبَرّكُ عَلَيهِمْ ويُحَنّكُهم**)(٦٤).

وروَى أَبو مُوسَى الأَشْعرِي رضي الله عنه قال: (**وُلِدَ لِي غُلَامٌ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صلّى الله عليهِ وسلّم فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ وَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ**)(٦٥).

ولا شكّ أنّ هذه السنّة أو هذا الهدي النّبوي، يعمل على ربط المولود بالمجتمع عن طريق السؤال عنه من قِبَلِ من قام على تحنيكه، وَيَجْعل له الدّعاء عند ذكره أو اللقاء بأبيه أو قريبه، ولو لم تكن هذه السُّنّة الحميدة، لما تنبّه الناس إلى المواليد الجدد، ولما تذكّر وا أحداً منهم.

---

(٦٣) التحنيك: هو مضغ التمر ثم تدليكه بحنك الصبي، وموضع تحنيك الصبي يقال له الحنك، وهما حنكان؛ والحنك الأعلى سقف أعلى الفم والأسفل سطح الفم. (الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين، ص٥٣٦؛ والنّووي، الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج، ج٣، ص١٩٤).

(٦٤) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنّكه، ح٢١٤٧، ج٣، ص١٦٩١.

(٦٥) رواه البخاري ومسلم من طريق أبي أُسَامَةَ، عن بُرَيْدٌ، عن أبي بُرْدَةَ، عن أبي مُوسَى ﷺ.
انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العقيقة، باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه، ح٥١٥٠، ج٥، ص٢٠٨١؛ ومسلم، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنّكه، ح٢١٤٥، ج٣، ص١٦٩٠.

٢ -**عمل عقيقة عن المولود**: والعقيقة، هي ذبح الشاة عن المولود في اليوم السّابع من ولادته، وهي سنّة مستحبّة عند جمهور العلماء، وبعضهم جعلها واجبة. وممّا ورد في مشروعيّتها:

أ) قول الرَّسُولِ صلّى الله عليه وسلّم: (**مَعَ الْغُلَامِ عَقِيقَةٌ فَأَهْرِيقُوا عَنْهُ دَمًا وَأَمِيطُوا عَنْهُ الْأَذَى**)(٦٦).

ب) وقوله صلّى الله عليه وسلّم: (**كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عنه يوم سَابِعِهِ وَيُحْلَقُ وَيُسَمَّى**)(٦٧).

ج) وَمَا رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: (**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَقَّ عَنْ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ كَبْشًا كَبْشًا**)(٦٨).

وسنّة العقيقة تعمل على ربط المولود بالمجتمع وتُبْعد تهميشه، وتوجد الصورة المثلى من تفاعل الأقارب معه، عن طريق الدّعاء له، والإهداء إليه، والسؤال عنه،

---

(٦٦) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العقيقة، باب إماطة الأذى عن الصبيّ في العقيقة، ح٥١٥٤، ج٥، ص٢٠٨٢.

(٦٧) رواه أبو داود والترمذي واللفظ له والنسائي، كلهم من طريق الْحَسَنِ عن سَمُرَةَ بن جندب ﷺ. وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

انظر: أبا داود، السنن، كتاب الضحايا، باب في العقيقة، ح٢٨٣٨، م٣، ص١٠٦، والترمذي، السنن، كتاب الأضاحي، باب من العقيقة، ح١٥٢٢، ج٤، ص١٠١، والنّسائي، السنن، كتاب العقيقة، باب متى يعق، ح٤٢٢٠، ج٧، ص١٦٦.

(٦٨) رواه أبو داود والنسائي في السنن الكبرى بإسناد صحيح، من طريق عِكْرِمَةَ، عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما. ولفظه عند النسائي: (عق رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين رضي الله عنهما بكبشين كبشين كبشين)

انظر: أبا داود، السنن، كتاب الضحايا، باب في العقيقة، ح٢٨٤١، ج٣، ص ١٠٧؛ والنسائي، السنن الكبرى، كتاب العقيقة، باب كم يعق عن الجارية، ح، ٤٥٤٥، ج٣، ص٧٦.

ثمّ إنّ في اجتماع النّاس على وليمة العقيقة، أو توزيع لحمها على المساكين والأقارب، ما يحقّق المقصود، الذي يحصل بذكر المولود والدّعاء له بالبركة.

والحاجة إلى الانتماء لا يمكن للإنسان إشباعها إلاّ من خلال تفاعله مع الآخرين، وتوافقه معهم، وحصوله على الاستحسان والتّقبل منهم، والرّضا عنهم[٦٩]، وهذا المعنى يتحصّل من خلال الاقتداء برسول الله صلى اله عليه وسلّم، في جانب دمج الأطفال بمجتمعاتهم، وربطهم بمحيطهم الذي يحيون فيه. وقد تقدّم في المطلب السّابق، كيف كان النّبي صلّى الله عليه وسلّم يستثمر المناسبات كلّها من أجل رعاية الأطفال اجتماعياً، فوجدناه يحمل الحسن مرة، ويحمل أمامة مرّة أخرى، ويصعد بهما المنبر؛ لغرس روح الاجتماع فيهما؛ عن طريق مخالطتهم، وحضور مجالس النّاس واجتماعاتهم، ومناسباتهم.

ونجد النّبي صلى الله عليه وسلّم يحمل الأطفال، ويصحبهم في سفره وتنقلّه، ويحضرهم المجالس المختلفة؛ من أجل تقبّل الناس لهم، والتعايش معهم، ومن أجل علاج مشكلة الفارق في السن بين الكبار والصّغار، حيث يأنف كبار السنّ في العادة الجلوس مع صغار السنّ، ويهاب الصغار من الجلوس إلى من يكبرهم سناً. وفي مسألة معالجة الفارق السِنّي؛ استخدم النّبي صلّى عليه وسلّم أسلوب المدح والثناء، من أجل تعزيز شخصيّة الطّفل وإعطائها دفعة قويّة لمعايشة الكبار، والجلوس إليهم، وعدم الرّهبة منهم، ويوضّح ذلك قوله في الحسن والحسين رضي الله عنهما، وكان قد أبصرهما: (**اللهم إني أحبهما فأحبهما**)[٧٠]، وقوله: (**هما ريحانتاي من الدنيا**)[٧١]،

---

(٦٩) مرسي، كمال إبراهيم، الأسرة، مرجع سابق، ص٤١.

(٧٠) رواه الترمذي، وقال: " هذا حديث حسن صحيح".

انظر: سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، ح٣٧٨٢، ج٥، ص٦٦١.

وقوله في الحسن: **(ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)**[٧٢]. ولعلّنا نجد الرّعاية الاجتماعيّة تأخذ بعداً أكبر حينما نجد النّبي صلى الله عليه وسلّم، يأتي بالحسن بن علي ليشهد معه لقاء الوفود، أو ليشهد معه تقسيم تمر الصّدقة، وكذلك إرداف جماعة من الصّغار في أسفاره عليه الصّلاة والسلام وفي زياراته وتنقلاته، وقد مرّ بعض الشواهد على ذلك في المطلب السّابق.

ويحسن التنبيه إلى أنّ إشباع الحاجات الاجتماعيّة داخل الأسرة؛ أفضل للصّحة النفسيّة والجسميّة من إشباعها خارج الأسرة، لأنّ أفراد الأسرة الواحدة هم أهمّ النّاس بالنّسبة للإنسان في تحقيق المحبّة بينه وبينهم. وتشير الدّراسات الحديثة إلى ارتباط السعادة في الحياة والنّجاح في العمل ونضج الشّخصيّة، بإشباع هذه الحاجات في الأسرة، وارتباط الاضطرابات النّفسيّة، والانحرافات السّلوكيّة بعدم إشباع هذه الحاجات في الأسرة، وبخاصّة في مرحلتي الطّفولة والمراهقة[٧٣].

وكان النّبي صلّى الله عليه وسلّم يزور الصّحابة في بيوتهم ويداعب أطفالهم ويسلّيهم، وقد تقدّم في المطلب السّابق زيارته عليه الصّلاة والسّلام لدار محمود بن الرّبيع الذي داعبه بالماء، وزيارته لدار أمّ سليم والدة أنس، وتسليته ابنها الصّغير. ولا يخفى ما لهذه الزّيارات من أثر في تربية الأطفال اجتماعياً، ودمجهم في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها. ومنحهم الحصانة التي تمنعهم من الانسحاب أو العزلة، وتعطيهم القدرة

---

(٧١) البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب فضائل الصّحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ح٣٥٤٣، ج٣، ص١٣٧١.

(٧٢) البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب فضائل الصّحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ح٣٥٣٦، ج٣، ص١٣٦٩.

(٧٣) مرسي، كمال إبراهيم، الأسرة، مرجع سابق، ص٤١.

- عند بلوغهم سنّ الرّشد - على تحمّل أعباء الحياة، التي تحتاج إلى جرأة وقوّة وحكمة.

وإذا ذُكِرَت الرعاية الاجتماعيّة فيجب أن لا ننسى سنّته صلى الله عليه وسلّم في إخراج الصّغار إلى مصلّى العيد، ليشاركوا الرّجال والنساء في مناسبة عيد الفطر وعيد الأضحى، ويتشربوا عادة الاجتماع مع الآخرين من أقاربهم ومن أفراد مجتمعهم. ولا يخفى أن حضور الأطفال في مثل هذه التّجمعات العظيمة، له أثر كبير في ربطهم ودمجهم مع مجتمع الكبار، الذي يعطيهم الدّربة الكافيه على التعامل مع الآخرين وإتقان الاتّصال معهم. ويظهر ثمرة ذلك من مواقف عدّة، منها ما رواه سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: **(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحداً. قال: فتله[٧٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده)**[٧٥].

ومن خلال ما تقدّم، فإنّنا وجدنا أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قد وضع لنا أسس التأهيل الاجتماعي للأطفال، وهذا التأهيل الذي مارسه النّبي صلّى الله عليه وسلّم قولاً وعملاً، " يكسب الطّفل الحكم الاجتماعي، والتوجه الذّاتي اللازم لتحويل الصّغير النّاشيء إلى رجل راشد مسؤول"[٧٦].

---

(٧٤) تلّه في يده: أي دفعه إليه. انظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، مقدّمة فتح الباري، ص٩٣.

(٧٥) رواه البخاري ومسلم من طريق مَالِكٌ بن أنس، عن أبي حَازِمِ بن دِينَارٍ، عن سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ. انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب إذا أذن له أو أحله ولم يبين كم هو، ح٢٣١٩، ج٢، ص٨٦٥؛ ومسلم، الجامع الصحيح، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، ح٢٠٣٠، ج٣، ص١٦٠٤.

(٧٦) حجازي، سناء نصر، الشّخصية لدى الأطفال، ص٦٧، بتصرّف.

إنّ الطّفل يولد وليس لديه مفهوم جاهز عن الخطأ والصّواب، أو تصوّر واضح للسلوك المستحسن والسلوك المستهجن، ولهذا فإن الرعاية الاجتماعيّة للطفل خلال سنوات ما قبل المدرسة، يفيد في شحذ تدريجي لقدرة الطّفل على إصدار الأحكام الاجتماعيّة، وعلى توجيه سلوكهم في ضوء هذه الأحكام، التي تنضج في سنّ متقدّمة، بعد التطبيق لها عند الرشد والبلوغ والتجربة العمليّة(٧٧).

المطلب الخامس: رعاية الأطفال جسمياً

الحاجات البدنية هي حاجات جسميّة عضويّة تلزم الإنسان من أجل بقائه، وحفظ نوعه، وتسهم في تنمية جسمه، وحمايته من الأمراض ومن الانقراض، وهذا يدل أنّ هذه الحاجات من الحاجات الوسيليّة(٧٨). وهي حاجات اعتنى بها النّبي صلى الله عليه وسلّم من خلال توجيهاته وإرشاداته، التي بيّن فيها أنها من مسؤولية الآباء اتجاه أبنائهم.

والله تعالى أوجب على الوالد، القيام بالنفقة على أبنائه، فقال في كتابه العزيز: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(٧٩)، وهذه النّفقة تدخل في مسؤولية الرّعاية العامّة التي نصّ عليها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليها بقوله: (**كُلكّم راعٍ وكُلّكُم مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ، الإمامُ راعٍ وَمَسؤولٌ عَن رَعِيّتِهِ، وَالرّجُلُ راعٍ في أهْلِهِ وهو مَسؤولٌ عَنْ رَعيتِهِ، والمرأةُ رَاعيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسؤولةٌ عنْ رَعِيّتها**، ...)(٨٠).

---

(٧٧) المرجع السّابق نفسه.

(٧٨) مرسي، كمال إبراهيم، الأسرة، مرجع سابق، ص٣٩.

(٧٩) آية٢٣٣/ سورة البقرة.

(٨٠) رواه البخاري ومسلم من طريق يُونُسُ، عن الزُّهْرِيِّ، عن سَالِمٌ، عن عبد اللَّهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما.

وفي الأحاديث الشّريفة، حثّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم على النّفقة على العيال، وجعل لهم الأولويّة في ذلك، لأنّهم رعيّته، ولأنّهم من كسبه، وهو المسؤول الأول عنهم. وفي هذا يقول الرّسول الأكرم صلّى الله عليه وسلّم: **(اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول)**(٨١).

ونجد النّبي صلى الله عليه وسلّم في إشارة بديعة، يقدّم الصّغير على من سواه في جانب التّغذية، لحاجته إلى بناء الجسم والعقل، حيث إنّ التقصير في تغذية الطّفل وهو صغير، ينعكس سلباً على حياة الطّفل المستقبليّة، ويضرّ ببناء شخصيّته إذا أصابه المرض أو العاهة بسبب نقص الحاجات العضوية لديه. ويبيّن ذلك ويوضّحه، أنّ الناس كانوا إذا رأوا أول الثمر، جاؤوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بالبركة، ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر(٨٢).

وفي هذا الباب يمتدح النّبي صلّى الله عليه وسلّم، صنيع امرأة مسكينة جاءت إلى عائشة رضي الله عنها، وهي تحمل ابنتين لها، فأطعمتها عائشة ثلاث تمرات،

انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ح٨٥٣، ج١، ص٣٠٤؛ ومسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، ح١٨٢٩، ج٣، ص١٤٥٩.

(٨١) رواه البخاري من طريق عروة بن الزبير عن حَكِيمِ بن حِزَامٍ ﷺ، ورواه مسلم من طريق موسى بن طلحة عن حكيم بن حزام ﷺ.

انظر: البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ح١٣٦١، ج٢، ص٥١٨؛ ومسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، ح١٠٣٤، ج٢، ص٧١٧.

(٨٢) مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة، ح١٣٧٣، ج٢، ص١٠٠٠.

فأعطت المرأة كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، قالت عائشة: فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (**إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار**)(٨٣).

فهذه المرأة حازت هذا الأجر العظيم لعظيم فعلها مع طفلتيها، فقد قدّمت تمرتها التي خصّت بها نفسها إليهما؛ لّما رأت حاجتهما إليها. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أهمية الغذاء للصغير، وأنّه يحتاج إليه أكثر ممّا يحتاج إليه الكبير، وأن توفيره من الحاجات التي لا يجوز التقصير فيها.

ويجب على ولي الأمر أن لا يقتّر على عياله، وأن لا يبخل في النفقة عليهم، وإذا حصل تقتير، فيؤخذ من مال المُعيل ما يلزم حاجاتهم، ودليل ذلك أنّ هند بنت عتبة رضي الله عنها اشتكت إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم شحّ زوجها أبي سفيان رضي الله عنه، فأمرها أن تأخذ من ماله بغير علمه ما يكفيها ويكفي أبناءها، فقال: (**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ**)(٨٤).

ومن أجل مصلحة الرّضيع، نهى النّبي صلّى الله عليه وسلّم عن الغَيْل، وهو حمل الأم بطفل آخر فترة الإرضاع، لما ينبني عليه من خلل في تغذية الرّضيع، وتَعَدٍّ على حقّه في العناية بنموّه، والمحافظة على صحّته، وقد بيّن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم

---

(٨٣) مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، ح٢٦٣٠، ج٤، ص٢٠٢٧.

(٨٤) رواه البخاري ومسلم من طريق هِشَامٍ بن عروة، عن أبيه، عن عَائِشَةَ رضي االله عنها.

انظر: البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب النفقات، باب إذا لم ينفق الرّجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها ويكفي ولدها بالمعروف، ح٥٠٤٩، ج٥، ص٢٠٥٢؛ ومسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الأقضية، باب قضية هند، ح١٧١٤، ج٣، ص١٣٣٨.

في الحديث أنّ ذلك يؤثر عليه في مستقبل حياته، بصورة لا تدرك إلاّ وقت قيامه بمهام دقيقة، ووجوده في مواقف صعبة، حيث يظهر أثر الخلل، الذي حصل في تغذيته؛ عند حصول الحمل حال إرضاعه، وفي هذا يقول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم صلّى الله عليه وسلّم: **(لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ سِرًّا فَإِنَّ الْغَيْلَ يُدْرِكُ الْفَارِسَ فَيُدَعْثِرُهُ[٨٥] عَنْ فَرَسِهِ)**[٨٦].

---

(٨٥) يدعثره: أي يصرعه ويهلكه. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص١١٨)

(٨٦) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وابن حبان، وكلهم رواه من طريق محمد بن المهاجر، عن أبيه، عن أسماء بنت يزيد ابن السكن رضي الله عنها. إلا ابن ماجه فرواه من طريق عمرو بن مهاجر، عن أبيه.

انظر: أبا داود في السنن، كتاب الطب، باب في الغيل، ح٣٨٨١، ج٤، ص٩؛ وابن ماجه، ، السنن، كتاب النكاح، باب الغَيل، ح٢٠١٢، ج١، ص ٦٤٨؛ وأحمد، المسند، ح٢٧٦٠٣، ٢٧٦٣١، ج٦، ص٤٥٣، ٤٥٨؛ وابن حبان، الصحيح، كتاب الجنايات، باب ذكر الزجر عن قتل المرء ولده سرا، ح٥٩٨٤، ج١٣، ص٣٢٢.

وإسناد الحديث فيه مهاجر بن أبي مسلم مولى أسماء بنت يزيد الأشهلية، ويقال مولى الأنصار، ترجم له البخاري في التاريخ الكبير، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل وسكتا عنه، وذكره ابن حبان في الثقات.

انظر: البخاري، التاريخ الكبير، ترجمة ١٦٤١، ج٧، ص٣٨٠، وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ترجمة رقم ١١٨٦، ج٨، ص٢٦١، وابن حبان، الثقات، ج٥، ص٤٢٧.

وبخصوص درجة الحديث فإني أرجح صحته لعدة أمور، هي:

١- رواية ابن حبان له في صحيحه، وهذا يعني توثيقه لمهاجر بن أبي مسلم.

٢- عملا بمنهج أحمد شاكر في تحقيق أحاديث المسند، وهو توثيق كل راو سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم، وذكره ابن حبان في الثقات. فمهاجر بناء عليه "ثقة".

٣- رواة الحديث غير مهاجر كلهم ثقات.

٤- هذا الحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته. (صحيح الجامع الصغير، ح٧٣٩١، ج٢، ص١٢٣٢)

المطلب السادس: أثر الرّعاية النّبويّة في بناء شخصيّة الطّفل

تعدّ مرحلة الطّفولة مرحلة هامّة جداً في بناء شخصيّة الإنسان، ورغم أنّ الآباء يحرصون على تكوين الأسرة واختيار الزّوجة، إلاّ أنّهم لا يهتمون بتربية الأبناء بصورة تبني شخصيّتهم بناءً سليماً[٨٧]، ولذلك فنحن بأمسّ الحاجة إلى الهدي النّبوي في تربية الصغار ورعايتهم لتكوين شخصيّاتهم السوّية.

ومن النّظر في المطالب السّابقة؛ نجدّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم بهديه المتنوّع أراد أن يبني شخصيّة الطفل بصورة صحيحة، وأن يحصّنها ضد الكفر والضّلال، وأن يصرفها عن السلوكيات الخاطئة المنحرفة، وقد رأينا مراعاة النّبي صلى الله عليه وسلّم ذلك خلال المراحل العمريّة المختلفة للطفل.

ومن ملاحظتنا لفعل النّبي صلى الله عليه وسلّم، نجد أنّه لم يقتصر في رعايته على أحفاده، بل انطلق إلى غيرهم من أطفال المسلمين، وذلك من أجل التنبيه إلى ضرورة رعاية الأطفال بصورة عامّة، وأن لا تقتصر رعايتنا للقريب منهم، بل نحسن التعامل معهم جميعاً، من أجل أن يتقبل الصّغارُ غير أقاربهم من الناس، وأن يستفيدوا من مجالسهم وخبراتهم، ويصقلوا شخصيّاتهم باحتكاكهم مع المجتمع الكبير مجتمع الناس كافّة، وأن لا يقتصر تعاملهم مع مجتمع أسرهم وعائلاتهم.

والأخذ بهدي النّبي صلّى الله عليه وسلّم في هذا الإطار يحقّق المصلحة للأطفال في جوانب عدّة، من أهمّها عدم الانطواء على الذات، الذي يعدّ مشكلة من مشاكل الصّغار، والذي ينعكس سلباً عليهم عند الكبر، ويجعل من أحدهم إنساناً انطوائياً، لا يشارك الآخرين في مناسباتهم، ولا يشارك في الأعمال الجماعيّة، التي تعود بالخير على المجتمع كلّه.

---

(٨٧) محمود، مي محمّد موسى، ص١٩٤.

وإذا ما نظرنا إلى اهتمام النّبي صلّى الله عليه وسلّم بمسألة التأديب، فإنّنا نجد أنّه وضَع بين أيدينا أداة الصّلاح والإصلاح لأطفالنا، لأنّ غَرْسَ الأدب في نفوس الصّغار، يعمل على تقويم سلوكهم، ويصوّب ما اعوج من أفعالهم، ويساعد في توازن شخصيّتهم واستقامتها. وتظهر ثمرة التأديب الحسن في التزام العبد بأمر ربّه، والإحسان في عمله، وأداء الحقوق إلى عباد الله، والتمسك بالأخلاق الفاضلة التي ربى النّبي صلى الله عليه وسلّم المسلمين عليها، والتي تؤدّي بالعبد إلى الفوز بالجنّة. وقد بيّن النّبي صلّى الله عليه وسلّم قيمة الخلق الحسن فقال: **(مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ)**(٨٨).

والمتابع لتصرف النّبي صلّى الله عليه وسلّم مع الأطفال في السنوات الأولى من الطّفولة، يجده قد قام على إشباع حاجة الطفل الغريزية؛ في جانب الحب، والعطف، والحنان، وقد تقدّم بعض صنيعه مع أحفاده؛ من حمله لهم، وتقبيله إيّاهُم، والدّعاء لهم، بل نجده يعطينا الصورة العملية لتزويدهم بذلك، نحو ضمّهم إلى صدره صلّى الله عليه وسلّم ووضعهم في حجره، وحملهم على عاتقه.

ونجد تعامل النّبي صلى الله عليه وسلّم مع الأطفال تعامل الإنسان الخبير، فهو يعلم من دقائق أمورهم وأحوالهم ما لا يعلمه بعض النّاس عن أطفالهم لقصورهم وإهمالهم، وهذا يدلّ على أنّه كان دائم السؤال عنهم، وكان يخاطب كلّ واحد منهم

---

(٨٨) رواه الترمذي وأحمد من طريق عَمْرُو بن دِينَارٍ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ، عن يَعْلَى بن مَمْلَكٍ، عن أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عن أبي الدَّرْدَاءِ. ورواه أحمد من طريقين آخرين عن محمد بن جَعْفَرٍ ويحيى بن سعيد، كلاهما عن شُعْبَةُ، عن الْقَاسِمَ بن أبي بَزَّةَ، عن عَطَاءٍ الكيخاراني، عن أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عن أبي الدَّرْدَاءِ. وقال الترمذي: " وهذا حديث حسن صحيح".

انظر: الترمذي، السنن، كتاب البر والصّلة، باب ما جاء في حسن الخلق، ح٢٠٠٢، ج٤، ص٣٦٢؛ وأحمد، المسند، ح٢٧٥٥٧، ٢٧٥٧٢، ٢٧٥٩٥، ج٦، ص٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥١.

بما يشغله، أو بما يحبّه، فهذا أخو أنس الذي مات عصفوره الصّغير، يخاطبه بما يشغل باله ويقوم على تسليته، فيقول: (**يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**). وهذه أم خالد بنت خالد بن سعيد تخبر أنّها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبيها وهي صغيرة، وكانت تلبس قميصاً أصفر أو أحمر، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**سَنَه سَنَه**)، وهي بالحبشية "حَسَنَةٌ حَسَنَة"، وكان خطاب النّبي صلّى الله عليه وسلّم لها بلسان الحبشة لأنّها وُلِدت بأرضها[٨٩]. قالت فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزبرني أبي[٩٠]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**دَعْهَا. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي**[٩١])[٩٢].

وفي حديث أم خالد هذا، يتبيّن لنا كيف كانت خطاب النّبي صلى الله عليه وسلّم لهذه الطّفلة الصّغيرة وأنّه كان باللسان الذي تفهمه، وهذا يعني أنّه ليس بالمعيب أن نتكلّم مع الصّغير بغير العربيّة - إذا كان الطّفل لا يتقن العربية ولا يفهمها - ونأخذ من الحديث أنّ من حقّ الطّفل أن لا نعامله معاملة الكبير، وأن لا

---

(٨٩) ورد الحديث في بعض الرّوايات بلفظ (سناه سناه) وبلفظ (يا أم خالد هذا سنا ويا أم خالد هذا سنا)، ومعنى السنا في كلام الحبش الحسن.

انظر: ابن الجوزي، غريب الحديث، ج١، ص٥٠٠؛ وابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص٢٨٠.

(٩٠) زبرني: نهرني. (الفروزبادي، محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط، ص٣٥٩).

(٩١) معنى (أبلي واخلقي): أَبْلِي: أمر بالابلاء، وأَخْلِقي: أمر بالإخلاق، وهما بمعنى. والعرب تطلق ذلك وتريد الدعاء بطول البقاء للمخاطب بذلك، أي أنها تطول حياتها حتى يَبْلى الثوب ويَخْلَق. وأخلقي يروى بالقاف والفاء، فبالقاف من إخلاق الثوب، يعني تقطيعه، وقد خلق الثوب وأخلق، وأما الفاء فبمعنى العوض والبدل، وهو الأشبه.

انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص٧١؛ وابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص٢٨٠.

(٩٢) البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الأدب، باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به أو قبلها أو مازحها، ح٥٦٤٧، ج٥، ص ٢٢٣٤.

نحاسبه على أعمال تتطلبها بناء شخصيته، فهذا اللعب بخاتم النّبي صلّى الله عليه وسلّم، أمر طبعي في الصغار، وليس بغريب أن يحصل منهم ذلك، لأنّ حركات الطّفل وأعماله التي تقع منه، والتي لا يرتاح لها بعض النّاس، هي في الحقيقة نوع من الاكتشاف والتعلّم اللازمين لبناء شخصية الطفل العلميّة والاجتماعيّة. ونجد في حديث أمّ خالد هذا درساً هو خَتْمُهُ صلّى الله عليه وسلّم الكلام مع هذه الصّغيرة بالدّعاء لها، بأن تكبر ويطول عمرها، وأن تُبْلي كثيراً من الثياب وتُخْلِقهم.

إنّ هذه الصور من السؤال والرّعاية يعزّز ثقة الطّفل بنفسه، ويجعله ينظر إلى نفسه على أنّه كبير لمخاطبة الكبار له، ويعطيه قوّة للانطلاق في حياته، وفي محيط أسرته، وفي المجتمع الخارجي، بثبات واقتدار.

وفيما يخص فترة المراهقة فقد أثبتت الدّراسات الحديثة أن حماية الأطفال في هذه المرحلة، تقوم على الاهتمام بأوقات فراغهم، واستثمارها في النّافع البنّاء من الأعمال، وفي التربيّة الصّحيحة التي تبعث روح التديّن والفضيلة في النّشء. ودلّت الأبحاث النفسيّة والاجتماعيّة؛ على أنّ الفراغ يأتي على رأس الأسباب التي تؤدي إلى انحراف المراهقين وانزلاقهم في أعمال الفحش والسوء[٩٣].

ونجد النّبي صلى الله عليه وسلّم قد سبق في هذا الجانب، فكان يستثمر وقت المراهقين في الطّيب النافع من الأعمال، فنجده يردف ابن عبّاس خلفه على الدّابة ويعلّمه وهو يسير إلى الجهة التي يقصدها مسائل من أصول العقيدة، ويردف وراءه على حمار كان يركبه أسامة بن زيد، من أجل عيادة سعد بن عبادة قبل وقعة بدر[٩٤]. ونجده يصطحب في غزواته بعض المراهقين، من أجل تربيتهم، وتعليمهم، وإشغال

(٩٣) الخطيب، موسى، كيف نربي المراهق، ص١٣-١٤.

(٩٤) ابن الأثير الجزري، أسد الغابة، ج١، ص٨٠.

وقتهم، ومن هؤلاء اليافعين الذين هم في سنّ المراهقة؛ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، الذي استصغره النّبي صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر، ويوم أحد، ولم يأذن له بالقتال، وأجازه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة[٩٥]. ومنهم أنس بن مالك رضي الله عنه، الذي كان مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر، والذي لم يشارك فيها لصغر سنّه[٩٦].

الخاتمة

وفيها أهم الاستنتاجات التي توصّلت إليها الدّراسة

بعد هذا العرض لموضوع البحث ودراسة قضاياه، يمكن استخلاص مجموعة من النتائج أهمها:

١ - التأكيد على أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلّم هو الأسوة الحسنة للمسلم، وأنّ سنّته هي المرشد والدّليل لكلّ إنسان يرجو رضا الله تعالى واليوم الآخر.

٢ - تعدّ السيرة النّبوية التطبيق العملي للإسلام، وفيها من الإرشادات والدروس الكثيرة والعظيمة ما يفيد في جميع مناحي الحياة، وفيها من المباديء والقواعد ما يحقق خيري الدّنيا والآخرة.

٣ - تبيّن السنّة المشرّفة والسيرة العطرة أن رعاية الطّفل تبدأ منذ السّاعات الاولى في حياته.

---

(٩٥) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي البجاوي، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ، ط١، ج٣، ص٩٥٠.

(٩٦) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في معرفة الصّحابة، تحقيق علي البجاوي، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ط١، ج١، ص١٢٥.

٤ - نجد أنّ الرّعاية التي أولاها النّبي صلى الله عليه وسلّم للأطفال استوعبت الجوانب اللازمة لتربيتهم وتوازن شخصيّتهم.

٥ - يعدّ البيت المسلم أفضل البيئات لرعاية الأطفال، ودور الأسرة في التربية والإعداد دور هام في تنشئة الطّفل بصورة صحيحة قويمة، ويمثّل أخطر الأدوار في مراحل نموّه.

٦ - نجد أنّ بيئة المسجد هي أفضل البيئات لتنمية شخصية الطفل بأبعادها كلّها الرّوحيّة، والعلميّة، والنفسيّة والاجتماعية، وأن الطفل فيما يحدثه في المسجد لا يفسد على المصلّين صلاتهم.

٧ - تعدّ الصّلاة أهم الرّكائز التي يقوم عليها بناء شخصيّة الصّغير، وأنّ التهاون في شأنها يؤدّي إلى مفاسد كثيرة تضر الطفل في مستقبله.

٨ - على الأبوين والمربين أن يعملوا على التفريق بين الأطفال في النّوم، وأن يراعوا في تربيتهم للمراهقين الناحيّة الجنسيّة، وأن يضبطوها بضوابط الآداب الإسلاميّة.

٩ - تُبْرز الدّراسة مدى عناية النّبي صلى الله عليه وسلّم بطفولة الإنسان، وما يلزم لها من التوجيه والرّعاية، وتُوضّح الأسس اللازمة لعلاج مشكلات الطفولة في الوقت الحاضر.

١٠ - ظهر في الدّراسة أنّ الصّحابة رضي الله عنهم كانوا حريصين على إحضار مواليدهم وأطفالهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، من أجل تسميتهم، وتحنيكهم، والدّعاء لهم.

فهرس المصادر والمراجع

[١] ابن الأثير الجزري، أبو الحسن علي بن محمّد، *أسد الغابة*، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م، ج١، ص٨٠.

[٢] ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمّد، *النّهاية في غريب الحديث والأثر*، تحقيق طاهر الزّاوي ومحمود الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[٣] أحمد بن محمّد ابن حنبل، *المسند*، مصر، مؤسّسة قرطبة.

[٤] الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الأشقودري، *صحيح الجامع الصغير وزياداته*، بيروت، المكتب الإسلامي.

[٥] البخاري، محمّد بن إسماعيل:

❖ *التاريخ الكبير*، تحقيق هاشم الندوي، بيروت، دار الفكر.

❖ *الجامع الصّحيح*، تحقيق مصطفى البغا، بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م، ط٣.

[٦] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، *السنن الكبرى*، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، ١٤١٤ه/ ١٩٩٤م.

[٧] الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، *الجامع*، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التّراث العربي.

[٨] ابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله، *إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل*، تحقيق وهبي الألباني، مصر، دار السلام للطباعة والنشر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

[٩] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، *غريب الحديث*، تحقيق عبد المعطي أمين القلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

[١٠]ابن حبان، أبو حاتم محمّد بن حبّان التميمي البستي:

❖ *كتاب الثقات*، بيروت، دار الفكر، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى بحيدر آباد الدكن بالهند، ١٣٩٩ه/ ١٩٧٩م.

❖ *كتاب الصّحيح*، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.

[١١] ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس، *الجرح والتعديل*، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٢٧١ه/ ١٩٥٢م.

[١٢] حجازي، سناء نصر، *الشّخصية لدى الأطفال*، القاهرة، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٨م.

[١٣] ابن حجر العسقلاني، علي بن أحمد:

❖ *الإصابة في معرفة الصّحابة*، تحقيق علي البجاوي، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م، ط١.

❖ *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي ومحب الدّين الخطيب، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

[١٤] حمروش، إبراهيم، وآخرون، *معجم ألفاظ القرآن الكريم*، مجمع اللغة العربية، القاهرة

[١٥] الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي، *تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم*، تحقيق زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، القاهرة، مكتبة السنة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

[١٦] الخطيب، موسى، *كيف نربي المراهق*، بيروت، دار الجيل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ط١.

[١٧] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، *السنن*، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر.

[١٨] الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، *مختار الصحاح*، تحقيق محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥ه/ ١٩٩٥م.

[١٩] الزبيدي، محمد مرتضى، *تاج العروس*، بيروت، دار صادر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

[٢٠] الزمخشري، محمود بن عمر، *الفائق في غريب الحديث*، تحقيق علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار المعرفة.

[٢١] الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد:

❖ *المعجم الأوسط*، تحقيق طارق بن عوض وعبد المحسن بن إبراهيم، القاهرة، دار الحرمين، ١٤١٥هـ.

❖ *المعجم الكبير*، تحقيق حمدي السلفي، الموصل/ العراق، مكتبة الزهراء، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

[٢٢] ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، تحقيق علي البجاوي، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ، ط١.

[٢٣] أبو عبية، محمد حسن، *الشخصية بين النظرية والتطبيق التربوي*، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨م.

[٢٤] عبد الرزاق بن همام الصنعاني، *المصنف*، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.

[٢٥] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، *معجم المقاييس في اللغة*، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤١٥هـ.

[٢٦] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، *كتاب العين*، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بيروت، دار ومكتبة الهلال.

[٢٧] الفيروزبادي، محمّد بن يعقوب، *القاموس المحيط*، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

[٢٨] القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، *مشارق الأنوار على صحاح الآثار*، تونس، المكتبة العتيقة ودار التراث.

[٢٩] كامل، يونس، وآخرون، *الشخصية وقياسها*، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٩م،

[٣٠] ابن ماجه، أبو عبد الله محمّد بن يزيد، *السنن*، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر.

[٣١] محمود، مي محمّد موسى، *موسوعة التربّية النّفسيّة للأطفال*، عمّان، دار دجلة.

[٣٢] مرسي، كمال إبراهيم، *الأسرة: التعريف والوظائف والأشكال*، الكويت، دار القلم، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣م، ط١.

[٣٣] مسلم بن الحجّاج النيسابوري، *الجامع الصّحيح*، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

[٣٤] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، *المعجم الوسيط*، تحقيق مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة.

[٣٥] المقري الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، بيروت، المكتبة العلمية.

[٣٦] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، *لسان العرب*، القاهرة، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، سلسلة تراثنا.

[٣٧] النسائي، أبو عبد أحمد بن شعيب، *السنن الكبرى*، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

[٣٨] النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، *الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج*، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢.

[٣٩] هاشم، أحمد عمر، *الإسلام وبناء الشخصية*، القاهرة، دار المنار للنشر والتوزيع.

The Prophetic Guidance in Looking after Children and Constructing their Personalities

Prof "Moh'd eid" Mahmoud Alsaheb

Abstract. This research studies the different fields of child's care as they appear in the study of the biography of the Prophet (p.b.u.h). This includes the spiritual, psychological, scientific, social, and physical fields. The research shows that such a care was mainly built on mercy which suits the weakness of children. This is very clear in his comprehensive biography. The researcher found that child's care was one of the prophet's concerns. The role of the mosque environment appears clearly in such context.

Oneness of God was the first thing to be taught to children, and then come the essentials of faith. Social uprising and care were of the issues on which the prophet (p.b.u.h) focused, this starts from the early days of the child's life. The bibliography of the prophet (p.b.u.h) shows that he also dealt with the psychological aspects of the child's life in a comprehensive and integrated way. The prophet (p.b.u.h) pays great attention in his teaching to the physical aspect of child's life; he gave them priority in taking food as this is very important for their minds and bodies. The research shows that the prophetic guidance leads to a physiological balance in children's personality. This will save them from any kind of disorder or deviant behavior. It is an approach that gives them protection of any present or future disorder.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (٨)، العدد (٣)، ص ص ١٠٤٧-١٠٩٩، (رجب ١٤٣٦هـ/إبريل ٢٠١٥م)

الصلة بين الأصول الفكرية للتنوير، والليبرالية، والعلمانية، والحداثة، وما بعد الحداثة

د. آمال بنت عبد العزيز العمرو
الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض

ملخص البحث. ترتبط بعض المذاهب الفكرية ببعضها، وتتداخل أصولها الفكرية لأسباب عديدة. ويشرح هذا البحث بإيجاز مجموعة من تلك المذاهب والتيارات الفكرية؛ كالتنوير والليبرالية والعلمانية والحداثة ومابعد الحداثة. ويبين تاريخ ظهورها وأبرز أعلامها، ثم يبين وجه ارتباط هذه المذاهب ببعض. حيث اتضح أن التنوير قاعدة ظهرت منه الليبرالية والعلمانية والحداثة، وأن مابعد الحداثة ثورة على تلك المذاهب، ونقض لها. وبعد عرض المذهب وبيان ارتباطاته الفكرية يتم نقده بإيجاز، وبهذا تتعرى تلك المذاهب، ويتبين الآثار السيئة لها على الفرد والمجتمع، ورفض بعض عقلاء الغرب لها، وفيه تحذير للمجتمع المسلم أن لا ينخدع ببريق شعارات تلك المذاهب.